مجلة جامعة بابل، العلوم الإنسانية، المجلد ٢٦، العدد ٥: ٢٠١٨
Journal of University of Babylon, Humanities, Vol.(26), No(5): 2018

Mona's Effect of Complaining About his Contemporaries -Selected Forms-

Mohammed Habib Salman Al-Khatib
Kufa University/Faculty of Jurisprudence
Mohammedal–Khateeb@uokuf.edu.ig

Abstract

Montagny is one of the most famous skeptics of the modern age , so he is counting on doubts in modern thought in contrast to p in the face of ancient doubt. The research is an attempt to show the extent to which he influenced some of the most important thinkers who followed him with the importance of skepticism and their conviction in their scientific and practical feasibility , although there were differences between them and Montagni. The research dealt with both.

Keyword: systematic suspicion, utter doubt, doubtful faith, modern age.

أثر مونتاني الشكي على معاصريه

- نماذج مختارة -

محمد حبيب سلمان الخطيب
جامعة الكوفة/ كلية الفقه

الخلاصة

يعد مونتاني من أشهر القائلين بمذهب الشك في العصر الحديث. ولذا عد أماماً للشك في الفكر الحديث مقابلاً لبيرون أمام الشك القديم. البحث محاولة لعرض مدى الأثر الذي أحدثه على عدد من اهم المفكرين اللاحقين له بأهمية الشك وإقتناعهم بجدواها العلمي والعملي على الرغم من وجود إختلافات بينهم مع مونتاني قلت أو كثرت في النتائج المترتبة على الأخذ بمبدأ الشك. وتناول البحث كل من شارون وبيكون وديكارت لقرب عهدهم بمونتاني، وإتضح من خلال البحث أن شارون الأقرب لأراء مونتاني بشكل عام، بينما بيكون وديكارت تأثروا به في إتخاذ مبدأ الشك محورياً في بداية التصورات العلمية لكن إختلفوا معه في النتائج، لذلك عد كل منهما من أنصار مبدأ الشك المنهجي، بينما مونتاني وشارون من أنصار مبدأ الشك المطلق.

الكلمات المفتاحية: الشك المنهجي، الشك المطلق، الإيمانية الشكاكة، العصر الحديث.

مدخل:

يعد المفكر الفرنسي ميشيل مونتاني (١٥٣٣- ١٥٩٢ م)[١] ممثل المذهب الشكي الرئيس في الفكر الاوربي الحديث وقد عده الباحثون إمام الشك الحديث مقابلاً لبيرون ت ٢٧٠ ق. م الذي عد إماماً للشك القديم، وتجلى مذهب مونتاني الشكي في كتابه المحاولات أو المقالات الذي لم يكتب كتاب سواه، ومن ثم هو من رجال الكتاب الواحد. بمعنى أنه إشتهر بكتاب واحد سواء كان كتابه الوحيد أو لديه غيره، وكان لهذا الكتاب شهرة واسعة في عصره والمراحل التاريخية اللاحقة، كما عد انموذجا يحتذى في فنون الادب ومن ثم كان مونتاني رائداً للمقالة الحديثة في أوربا فضلا عن كونه أكثر الفرنسيين تأثيراً في إحداث النهضة الفرنسية.

البحث محاولة لإبراز الأثر الذي أحدثه في فهم حقيقة مذهبه، حيث نجد أن لمونتاني أثراً على عدد من المفكرين سواء المعاصرين له أم اللاحقين، وليتم إستبيان ذلك كان البحث عن أبرز أولئك المفكرين، والذين كانت لأرائهم دورها في فهم حقيقة الشك عند مونتاني خاصة، وعند الشكاكين بشكل عام .

وقد إنتضم البحث في ثلاثة مباحث ونتائج. المبحث الاول فكان الحديث فيه عن شارون صديق مونتاني والذي كان لصداقته معه إثرها في لفت نظر شارون الى قيمة الشك وإثرها في دعم الايمان الديني المسيحي في مقابل نزعة الإلحاد المعتمدة على حكم العقل وحده في ذلك العصر. أما المبحث الثاني فكان عن بيكون وبيان مدى إثر كتابات مونتاني على إظهره لفكرة الشك وإبرزها وبيان قيمتها العلمية في مختلف الابحاث العلمية. أما المبحث فتم فيه الحديث عن ديكارت وذكر مدى الأثر الكبير الذي كان لمونتاني على أفكاره وما إشتهر عن ديكارت من إهمية إتخاذ الشك كمنهج ومبدأ أول في تناول القضايا العلمية.

المبحث الاول: شارون:

بيير شارون Pierre Charron ١٥٤١ – ١٦٠٣م كاتب أخلاقي فرنسي بحسب طرابيشي، وفيلسوف كما في المعجم الروسي (موسوعة الفلسفة)، وكاهن كاثوليكي بحسب موسوعة روتلدج[٢]، ما يعكس إختلافا بين الباحثين في وصفه وتقييمه لان كل مصطلح من المصطلحات الثلاثة له مدلوله الخاص ووصفه بأنه قسيس وواعظ يثبت كونه كاهناً وكاتباً أما الفيلسوف فيكون مع التسامح في المصطلح كما كان سائداً في الفكر الوسيط دون الفكر العالمي المعاصر.

ولد في باريس، ودرس اليونانية واللاتينية والفلسفة في السوربون، ونال الدكتوراه في القانون عام ١٥٧١ من جامعة مونبيليه Montpellier وبعد ممارسته المحاماة أصبح قسيساً، فكان قساً وواعظاً ذائع الصيت في باريس والاقاليم الآخرى. ألف أثناء إقامته في بوردو ــ حيث قابل مونتاني عدة مقابلات شخصية ــ بحثاً عن الحقائق الثلاث ١٥٩٣، يعد دفاعاً عن الله ضد الملحدين، ودفاعاً عن المسيحيين ضد الوثنيين أو المؤلهة، وعن الكاثوليكية ضد البروتستانت. وكان يشعر أن التنوعات المتفرعة عن الايمان الكاثوليكي التام ترجع الى الاستخدام المغرور للعقل، ومن ثم عاد شارون الى الايمانية الشكاكة كطريقة لنقض معارضيه، وهو ما عرضه في كتابه الأهم (في الحكمة) حيث بين نظرية طبيعية أخلاقية مستقلة عن الاعتبارات الدينية. إستندت بشكل أساس على الافكار الرواقية[٣]. وقد حظي كتابه هذا بشعبية كبيرة في القرن السابع عشر، حيث

نال ثناء العديد من الشكاك وغيرهم، فضلا عن وجود معارضين لافكاره[٤]. ويبدو أن شارون ينقد العقل وقدراته موافقاً في ذلك للشكاك لإستخدام العقل بشكل مبالغ فيه من معارضي المسيحية في المدة التي عاصرها شارون.

والحدث الأكثر أهمية في حياته ــ كما في موسوعة روتلدج ــ صداقته مع ميشيل مونتاني، حيث تأثر به في الجمع بين القول بالدين والشك[٥]. و مسألة تأثره بمونتاني تتضح من أكثر من مصدر. ففي معجم الفلاسفة وفي ترجمة مونتاني أن شارون أعلن في عام ١٥٨٦ أنه تلميذ مونتاني. وفي ترجمة شارون أنه إستلهم كتاب المقالات لمونتاني ليحرر كتاب الحقائق الثلاث. وفي الموسوعة الفلسفية الروسية أن شارون إشتهر بارائه الشكية القريبة من أراء مونتاني. وفي كتاب الله في الفلسفة الحديثة أن شارون يعد الوريث الشرعي لمونتاني[٦]. وهو الأمر نفسه الذي يبينه ديسجامبس من أن شارون تابع مونتاني وعد نفسه إبناً فكرياً بالتبني لمونتاني[٧].

لقد إقتنع شارون بوجهة نظر مونتاني الشكية من أن الحواس والعقل غير قادرة على الوصول إلى اليقين، ولايمكن الإعتماد عليهما في ذلك. ومن ثم إقتنع شارون بالبيرونية التي إقتنع بها مونتاني سابقاً[٨].

لكن هذا التأثر والإقتناع لا يعني التقليد التام من شارون لأفكار مونتاني، وعلى ضوء ذلك يفرق كولينز بينهما بالإشارة إلى أن شارون مع كونه كاتباً فحلاً إلا أنه إفتقر الى المواهب الاسلوبية التي إمتاز بها مونتاني. فضلا عن خلاف جوهري بينهما منشأه أن مونتاني من أتباع بيرون؛ في حين كان شارون شكاكاً متابعاً لشكاكي أكاديمية أفلاطون ينكر إنكاراً صريحاً وصول الانسان الى أية معرفة طبيعية يقينية، وإن كان يستطيع الوصول الى درجات مختلفة من الاحتمال العملي. ويضيف كولينز بان شارون لما كان لايستخدم إسلوب مونتاني الذي يتميز بالتعقيد وتعليق الحكم، ووضع عرضا مجملاً لنظرية أخلاقية رواقية متميزة عن الايمان وعن اللاهوت الأخلاقي، فقد أمد الأباحيين الذين عاشوا في أوائل القرن السابع عشر بذخيرة من النصوص المنفصلة الجاهزة التي يمكن إستخدامها في أغراض تتعارض مع قصد شارون. وهو ما أدى أن يصبح شارون هدفاً رئيساً لهجوم أوساط السوربون والأوساط المدرسية، على الرغم من أنه لم يكن هنالك أساس للارتياب في إخلاصه الديني[٩]. ذلك أنه رأى أن جميع الأديان عدا الدين المسيحي من إختراع الرجال[١٠]. وهو قريب مما ذهب إليه مونتاني.

لقد كان لشارون عدد كبير من المعجبين بمواعظه ومنهم الملك هنري الرابع، للفوائد التي كانت تحملها للحاضرين، فضلا عن سهولة عرضها[١١]. وعلى الرغم من سهولة عرضها ووضوحها بالقياس إلى غموض عبارات مونتاني، فان كتبه وضعت لها شروح من قبل مؤلفين لاحقين جرياً على العرف السائد ذلك الزمن[١٢].

وفي الكتاب الاول من الحقائق الثلاث عرض شارون عدة أدلة تقليدية على وجود الله، من بينها الأدلة الطبيعية التي عرض منها البراهين المستمدة من العلة الكافية، والعلة الغائية، والحركة، والتناهي، والتكوين وإنسجام الكون، ودرجات الخيرية. وذكر أيضا الدليل الأخلاقي المستمد من الاتفاق الشامل والدليل القائم على المعجزات والنبوة. ولم يعترف شارون ــ ولم يعترف معظم معاصريه المنتمين الى جميع المدارس– بتناول ميتافيزيقي عن الله والروح متميز عن فلسفة الطبيعة، أي البحث عنهما ضمن الطبيعة المشاهدة لا ما ورائها.

ولما كان شارون ينظر الى فلسفة الطبيعة على أنها لاتملك سوى يقين محتمل، فان تلك الأدلة لا تزيد عن كونها حججاً إحتمالية أو شبه حقيقية[١٣]. وعلى ذلك فإن هذه الحجج الطبيعية الإحتمالية هي المقبول لتناول الله دون الميتافيزيقية التقليدية التي لا يمكن قبولها أو رفضها ما لم يسندها الوحي الألهي على وفق مفهوم شارون.

أما عن طبيعة الله وصفاته، فان شارون لم يسمح حتى بالتدليل الاحتمالي: فالتفاوت التام بين طبيعتنا المتناهية ووجود الاله اللامتناهي يحرمنا من أية وسائل عقلية طبيعية لتحديد الطبيعة الالهية. وأوصى شارون ــ مردداً صدى مونتاني ــ بالامتناع عن وضع أي وصف تفصيلي لماهية الاله، وأن نظل قانعين باعترافنا به على أنه مصدر الكمال والخير اللامتناهي، وأننا لانستطيع معرفته بالوسائل الطبيعية[١٤]. ومن ثم نكتفي بما ورد عنه بالوحي الألهي كما بيين ديكارت.

ويبين شارون أن الانسان يمكن أن يصل الى إكتشاف الحقائق فقط عن طريق الايحاء من الله، فالمبادئ الاخلاقية عند الانسان يجب أن تستند الى طبيعة فوق طبيعته، من خلال الايحاء الالهي. ووجهة نظر شارون هذه طورها من إطلاعه على شك مونتاني بشكل منظم. حيث يبين شارون أننا يجب أن نبدأ أولاً بمعرفة أنفسنا، والحدود التي يمكن أن تصل إليها معرفتنا. ويقدم شارون في ذلك الحجج التقليدية المشككة بالمعرفة الحسية، وعن قدرتها على الوصول الى معرفة دقيقة، وهل يملك الانسان القدرة على التمييز بين معرفته الحسية التجريبية وبين الاوهام والتخيلات، فضلا عن خداع الحواس ونظرتها الى الامور بشكل مختلف عن الواقع . كذلك الحال في المعرفة العقلية، فالانسان لايملك معياراً للتاكد من حقيقة الاشياء، بل نحن نعمل بما تمليه عواطفنا، والضغوط الاجتماعية دون معرفة الاسباب والعلل الحقيقية للاشياء. بل نحن في الحقيقة عند شارون نعمل كالوحوش أو الحيوانات دون معرفة الاسباب، وأننا لانعمل ككائنات عاقلة، ومن ثم يجب قبول إدعاء مونتاني بأننا لانملك المبادئ المعرفية الاصيلة ما لم يكشفها الله لنا[١٥]. وفي هذا يقول شارون: (إن الحكمة هي الحكمة لا غيرها، وإن رفعها إلى درجة أعلى من علامات الضعف البشري)[١٦]. ويبين شارون ذلك من أن الطبيعة البشرية غير قادرة على الوصول للمعرفة التامة للأشياء الألهية والبشرية[١٧]. وهنا نجد شارون متابعاً لمونتاني في مقدمات الشك من ضعف الحواس والعقل معرفياً إلى النتائج المترتبة عليها، ومنطلقه في ذلك كما هو الحال عند مونتاني الدفاع عن العقيدة المسيحية من حيث عدم إمكانية الوصول الى اليقين بالإستناد الى العقل دون الإستعانة بالنور الإلهي، ومن ثم على الإنسان أن لا يبالغ في تقدير إمكانياته المعرفية الحسية والعقلية .

أما موضوع كتاب الحكمة لشارون فيكمن في أن إرادتنا قادرة على توجيه حكمنا الظني بحيث لا يعطي صدقها للأشياء إلا لما يستحقها، وذلك عن طريق البداهة، ممتنعاً عن إبداء الحكم ومعلقاً له على الاشياء غير المؤكدة منها[١٨]. ويرى برهييه أن في هذا الكتاب يتضح تأثير مونتاني بشكل كبير على شارون[١٩] .

ولا يعطي شارون للحكمة معنى فخماً كما أعطاها اللاهوتيون والفلاسفة الذين يلذ لهم أن يصفوا ويصوروا أشياء ما رآها أحد بعد، وأن يرفعوها إلى درجة من الكمال لا تستطيع الطبيعة البشرية الوصول إليها إلا بالخيال، ولذا طلب كشرط للحكمة الإنعتاق من الأخطاء ومن رذائل العالم والأهواء وملء حرية

العقل حكماً وإرادة معاً. وأضاف إلى هذا الشرط أن تقترن الحرية بوصية تأمر بإطاعة قوانين البلاد وعاداتها وأعرافها والتقيد بها[٢٠]. ويبين شارون أن الحكمة هي العلم الحقيقي للإنسان، لأن به يتعلم الحياة الطيبة والموت كذلك، وما عداها غرور غير ضروري وغيرمفيد[٢١]. ويلاحظ هنا أثر مونتاني، وإتفاق شارون معه في أغلب النتائج، وأيضاً يلاحظ تشابه ما ذكره شارون مع قاعدة الشك الديكارتية القاضية بعدم الإنجرار وراء الأحكام اللاهوتية والعلمية فضلا عن العادات والتقاليد السائدة دون تحليل وتمحيص.

ويرى شارون أن الكاتب الأخلاقي يجد نفسه مسوقاً إلى أن يدرس الإنسان كما هو بدلاً من أن يلتمس لسلوكه مبدأ ما مفارقاً؛ فمعرفة الذات، أي نقاط الضعف البشري، هي في رأي شارون عنصر مهم من عناصر الحكمة، ومهمة الكاتب الأخلاقي في هذه الحال أن يصور الأهواء وعللها[٢٢]. وما يذكره شارون هنا يقترب من مونتاني في النزعة الفردية، ومحاولة إصلاح ضعف الإنسان دون أن يلغي ذلك التجديد الذي حاول شارون إيجاده.

إن الدافع وراء بحث شارون (عن الحكمة) تصميمه على صيانة الاله المتعالي عن الفهم من جنوح العقل الانساني والنزول به الى مستوانا الانساني، وعمد الى ذلك عدد من مفكري عصره. ويتحدث شارون بسخرية لاذعة عن أولئك الأشخاص المتطيرين المستهترين الذين يعاملون الاله وكأنه قاض في بلدة صغيرة، يتصف بالقسوة والجبروت في وقت، وبالبساطة والتسامح في وقت آخر. إن جلال الله وعظمته تنتهكه هذه التأكيدات الساذجة التي نطلقها عن طبيعته وسلوكه مع العالم. بل يصحح شارون ما ذهب إليه مونتاني من أن الله ذروة جهد الانسان لتخيل الكمال المطلق. فهذا القول يستدعي نوعاً من التصور المحدود للعقل الانساني عن الله، فالأدق من ذلك كما يرى شارون أن الاله فوق أقصى جهودنا وأعلاها وفوق تخيلاتنا عن الكمال بصورة لامتناهية. وما لدينا من يقين عن الاله اللامتناهي يأتي إلينا من الايمان الديني وحده، ومن التسليم بكلمة الله، ولا يأتي إلينا من تفكيرنا الطبيعي أو من طموحنا إلى الكمال[٢٣]. وهذا الإختلاف في هذه الجزئية لا تخرج شارون عن متابعة مونتاني في الإطار العام لتصور الإنسان عن الله. فسواء أكان الله في أقصى درجات خيال الإنسان أم أنه أعلى منها فهو فوق إدراك الإنسان وتصوره.

ومع ذلك يرى شارون أن ثمة وظيفة مزدوجة للحكمة الانسانية: الاولى: أن تمهد الطريق المتعالي على الطبيعة. والثانية: أن تضمن الكمال الطبيعي الأخلاقي للانسان[٢٤]. والوظيفة الاولى يتصورها شارون تصوراً يتعارض تماماً مع النظرة التي عرضها توما الاكويني الى الفلسفة بوصفها قادرة على بلوغ بعض الحقائق الطبيعية عن الله والانسان، وعلى الدفاع عن معقولية الايمان المسيحي. وبدلاً عن ذلك تساعد الحكمة الانسانية الايمان باعترافها بعجزها المطلق عن الوصول الى أية حقيقة نظرية. بل يثني شارون على مذهب الشك بوصفه أفضل تمهيد ممكن للعقل حتى يتلقى الوحي المتعالي على الطبيعة البشرية. ويرى شارون ــ وهو يضرب مثلاً إزدادت شعبيته بعد ذلك في أوقات إرتياد الاوربيين الى الشرق والنفاذ الى حضارته ــ إن أفضل وسيلة لاقناع حكيم صيني باعتناق المسيحية تكون باقناعه أولاً بان المذاهب الفلسفية جميعا ليست سوى مجرد آراء مشكوك فيها، وأن على المبشر المسيحي الاقتراب من العقل الشرقي ممسكاً الكتاب المقدس باحدى يديه، وكتابات سكستوس أمبيريكوس[٢٥] باليد الأخرى، ذلك أن مذهب الشك عبارة عن مطهر شاف يقضي على التصورات الزائفة عن الاله، وعلى التحيزات التي تعترض سبيل التسليم بالوحي المسيحي[٢٦]. وهذا ما يظهر قيمة الشك عند شارون في التبشير بالمسيحية، وبيان الثغرات الموجودة في الأديان الأخرى والأفكار.

وهو منه لإبعاد النظرة السلبية الأولى التي إشتهرت عن الشك والشكاك، محاولاً إيجاد نظرة إيجابية محورية في القول بمبدأ الشك الذي قال به مفكرون من عهد الفلسفة اليونانية القديمة متفقاً في ذلك مع عدد كبير من مفكري عصره.

ويعد شارون نصيراً متحمساً للدعوى القائلة: بأن الله خلق الانسان فعلاً لمعرفة الحقيقة، غير أن الانسان لا يستطيع أن يعرفها بنفسه أو بأية وسائل إنسانية ... لقد ولدنا للبحث عن الحقيقة: أما إمتلاكها فشئ لا تقدر عليه سوى قوة أعلى وأعظم(٢٧). فالحواس ذاتية مضللة الى أبعد حد. أما العقل فيشبهه شارون بنعل (ثيرامينيس) الأسطوري الذي يناسب أي قدم، ويشبه نشاط العقل بنشاط حيوان (القارض) الذي يضل في المتاهات الأرضية والجحور المظلمة دون أن يصل أبداً الى فريسته. والنتيجة من ذلك أن الطبائع الحقيقية للأشياء تند دائماً عن منال الفيلسوف ما دامت حتى أفكارنا الفطرية العقلية لا تتمتع بأية صحة موضوعية. وبعد أن نزع شارون عن الانسان أية بصيرة نظرية بالوجود ومبادئه العلية، يدعو الباحث عن الحقيقة أن يسلم بالايمان المسيحي الذي يمده بالحقيقة اليقينية الوحيدة عن الاله وعن المصير الانساني(٢٨). وعلى ذلك فشارون يرى أن الحقيقة لايصل إليها سوى الله، وأن الإنسان أدنى من أن يصل إليها. متفقاً في هذه الحقيقة اليقينية الوحيدة مع مونتاني .

ويرى شارون أن الحكمة الانسانية لا تستطيع أن تقدم عملا بناءً إلا في المجال الأخلاقي بالتدليل العملي وإعطاء الاحتمالات، فهي تستطيع في هذه الامور أن تطور نظرية الفضيلة الحقة التي تضمن كمال الانسان الطبيعي الأخلاقي من حيث هو إنسان. ولشارون مفهوم رواقي عن الاخلاقية إستعاره في جزء كبير منه من مفكرين رئيسيين في عصر النهضة أيدا الرواقية المسيحية هما: يوستوس ليبسيوس(٢٩) Justus Lipsius وجيوم دي فير(٣٠) Guillaume Du Vair فهو يفسر مثلهما التعليم الرئيس للأخلاق المسيحية باتباع الطبيعة والتي تعود الى: إتبع قانون الله، والعقل العملي. ويحدد شارون نطاق الفضائل التي تنظم الحياة الشخصية والحياة الاجتماعية معاً على نحو أكثر تنظيماً من مونتاني ــ كما يرى كولينز ــ(٣١). ويبدو أن شارون لم يكن غافلاً عن إمكانية قيام المفكرين الأحرار بمحاولة فصل هذه التعاليم الأخلاقية عن دعوته الملحة أيضا الى التسليم بالوحي المسيحي، ذلك لأننا نجده ينصح الرجل الحكيم أو الفاضل حقاً الى الجمع بين الأخلاقية الطبيعية والدين المتعالي على الطبيعة في توليف شخصي واحد. بمعنى أن شارون يرى أن على الحكيم أن يكون شكاكاً في المجال النظري، رواقياً في المسائل الأخلاقية، ومسيحياً في دينه(٣٢). ومن ثم لايكون شاكاً من الناحية العملية بل إنه يأخذ بالمذهب الرواقي مع الدين المسيحي، وهذا قريب مما عرضه مونتاني وهو يدلل على أن كل من مونتاني وشارون شاكاً بنحو مطلق وتام كما هو المشهور عنهما.

ويرى كولينز أنه أياً كان الاخلاص الشخصي للعقيدة التي تكمن وراء هذه التوليفة المقترحة من شارون، فانه كان أضعف ــ من حيث التركيب الداخلي ــ من أن يصمد أمام نقد الشكاك الأحرار. فلم يكن مونتاني أو شارون يملكان الحذق الفلسفي الذي يملكه نموذجهما الاغريقي سكستوس أمبيريكوس. فقد سلما في بساطة بمقدمة المذهب الظاهري دون أن يعيدا التفكير في مشكلة الادراك الحسي والتدليل المنطقي. وكان إسهامهما الرئيسي إعادة تشكيل مذهب الشك داخل السياق الحديث للنزعة الانسانية و للمسيحية. بيد أن المعارضة المتربصة بين العقل الطبيعي وسلطة الايمان لم تلبث أن ظهرت في يسر على هيئة تسليم بأن فعل الايمان المتعالي على الطبيعة إما أن يكون إلتزاماً غير معقول تماماً، أو إلتزاماً يقوم على أسس من العرف أو

التقليد الاجتماعي. وكان تعليق مونتاني الساخر: (بأننا مسيحيون بنفس الطريقة التي نكون بها بيريجوديين أو ألماناً) داعماً للأسس اللاعقلية والبراجماتية للمفهوم الايماني للعقيدة المسيحية[٣٣]. وكان تقدير بعض الاباحيين المتطرفين لتسليمنا بقانون طبيعي أخلاقي مماثل لتقدير مونتاني. فاذا كان العقل الطبيعي على مثل هذا العجز في المسائل النظرية جميعاً ، فلابد من تبرير خاص قبل أن يمنحه المرء ثقته بوصفه مصدراً للحكمة العملية الأخلاقية. ومثل هذا التبرير الفلسفي لم يأت من جانب شارون، ومن ثم فان الأثر الناتج عن موقفه أن عرض للخطر الحكمتين اللتين سعى الى تأييدهما بوسائل الشك وأعني بهما: الحكمة الدينية، والحكمة الأخلاقية[٣٤]. لكن هذا التبرير الذي يريده كولينز لايمكن إثباته نظرياً على وفق قناعة شارون ومونتاني لعدم إقرارهما بقيمة ما يعرضانه بغير المنفعة العملية، وأن البحث النظري في ذلك لايجلب كلاماً حاسماً. ثم إن تسليمهما بمذهب الشك أمر مبالغ فيه فما قدماه في مؤلفاتهم من أمثلة ومقدمات توصل إلى صحة ما ذهب إليه الشكاك، بما لايدعم كونهما مقلدين لمذهب الشك خاصة وأن بعض الأمثلة فضلا عن النتائج لاوجود لها في كتب الشكاك ومنهم سكستوس .

ومما تقدم من أفكار شارون يتضح أن الوصف الأكثر دقة له هو كونه قسيساً وواعظاً أخلاقياً، أما كونه فيلسوف فغير صحيح لأن مما عرضه لم يتجاوز أموراً عملية لا تصل الى درجة البحث النظري الشامل كما هو حال الفلاسفة .

المبحث الثاني: بيكون:

فيلسوف بريطاني مؤسس الإتجاه التجريبي في الفكر الاوربي الحديث. بلغ في ظل حكم جيمس الأول منصب حامل أختام الملك. في عام ١٦٢٠م نشر رسالته الشهيرة (الاورغانون الجديد)، وكان هذا العنوان تعريضاً بكتاب أرسطو (الاورغانون) أي الآلة. وفي رسالته هذه شرح بيكون تصوراً جديداً لمهام العلم وإسس الإستقراء العلمي. وأعلن بيكون أن الغرض من التعلم زيادة سيطرة الانسان على الطبيعة . وكان يعتقد أن هذا الغرض لا يتحقق الإ عن طريق العلم الذي يكشف العلل الخفية الأشياء. ومن ثم عارض النزعة المدرسية (الإسكولائية) فقد كان التعليم القديم يعاني ــ عند بيكون ــ إما من القطعية، بمعنى أن الدارس يبدأ من مفاهيم من إختلاقه هو، ثم ينسج نسق قضاياه الخاص بالطريقة نفسها التي ينسج بها العنكبوت؛ وإما من التجريبية أي من مجرد عد وقائع لا رابط بينها. وعلى هذا الاساس دعا بيكون الى النزعة الشكية فيما يتعلق بكل تعلم سابق[٣٥]. ومن ثم فإن بيكون هدفه من الشك أن يكون عاملاً في إبعاد الأحكام المسبقة غير الموضوعية.

وتأثر بيكون بمونتاني يشير إليه عدد من الباحثين، مثلاً عبد الرحمن بدوي في موسوعة الفلسفة عند ترجمته لمونتاني وبيانه لتأثيره البالغ على عدد من المفكرين ويذكر منهم بيكون[٣٦]. ويشير الى ذلك أيضاً محسن جهانكيري في كتابه عن بيكون[٣٧]. وأيضا أرنست بلوخ في كتابه فلسفة عصر النهضة بقوله: (بيكن [بيكون] نفسه تأثر على نحو بالغ بريبية العشرة الطيبة لبعض المؤلفين الفرنسيين، وأشدهم دلالة مونتيني [مونتاني] في المحاولات)[٣٨]. و يشير الى تأثير مونتاني الكبيرعلى بيكون محرروا موسوعة روتلدج، وأيضا أديث سيشل في كتابها عن مونتاني[٣٩] .

وليس من المستغرب تأثر بيكون بالنزعة الشكية بشكل عام أو بمونتاني بشكل خاص، لان النزعة الشكية كانت من خصائص عصر بيكون، لا سيما الشك في حكمة الحكماء المدرسيين، ومن أبرز الشكاك في عصره مونتاني. ومن ثم لابد (أن يكون بيكون قد إطلع على أثاره وأفكاره، أو تأثر به على حد تعبير البعض. وقد ذكره بخير في كتاب المقالات، بل قيل إنه كتب هذا الكتاب تقليداً لمقالات مونتاني)[٤٠]. وتقليد بيكون لكتاب مقالات مونتاني نجده أيضا عند برهييه بقوله: (أو لم يكتب بيكون... مقالات على منوال مونتانيي [مونتاني]، ضمنها عصارة تجربته كرجل بلاط ورجل مجتمع)[٤١]. وأشار برتراند رسل الى ذلك بقوله عن بيكون:(إشتهر بمقالاته، وهي شكل أدبي كان مونتني Montaigne [مونتاني] ١٥٣٣– ١٥٩٢ قد إبتكره في فرنسا منذ وقت قريب)[٤٢] .

وعلى ما تقدم فان بيكون سار في المضمار الذي كان عليه معاصريه فأخذ ينظر الى معلومات القدماء بعين الشك والريب ويدعوها بالحدسيات. وكان يشيد في بعض الأحيان بكبار الشكيين الذين كانوا ينكرون يقينية العلم والإدراك. وإن لم يتفق مع أفكارهم تماماً[٤٣]. ولذلك لايمكن عد بيكون شاكاً بالمعنى الإصطلاحي. بل يبين قيمة الشك المعرفية، ومن ثم يعد بيكون من أنصار الشك المنهجي بالمعنى الاصطلاحي وليس الشك المطلق.

وعلى ذلك نجد بيكون يدعو إلى نوع من الشك أقرب ما يكون الى الشك المنهجي، فهو يقول (إن إفساح المجال أمام الشك له فائدتان: الأولى تكون كالدرع الواقي للفلسفة من الأخطاء ... والثانية تكون كحافز للإستزادة من المعرفة)[٤٤]. وفي كتاب المقالات يخصص بيكون مقالته للحديث عن الشك يؤكد فيها ضرورة إصطناع نوع من الشك وقاية للانسان من كثير من المعارف والمعلومات الزائفة، ودافعاً قوياً للإستقصاء والإستزادة من العلم[٤٥]. ويهاجم الشك القديم غير الهادف، كما يهاجم الشك غير الملتزم بالموضوعية والإعتدال فيضع سقراط مع السوفسطائين، لان سقراط لم يكن يريد إثبات شيئ، إنما أراد تفنيد ما يأتي به الآخرون فقط[٤٦]. ولذا نجد بيكون يقول: (مع تقويم الشك سوف تذهب قائمة الأكاذيب والأخطاء المبتذلة، سواء أكانت في التاريخ الطبيعي أو في الأفكار، تلك التي تشوش العلوم) [٤٧].

ومن هذا نفهم أن بيكون كان شاكاً بدرجة ما، ولذا دعاه ميرسون[٤٨] بالشكاك، لانه إنتقد أرسطو ولم يثق بمعلومات القدماء وآرائهم[٤٩]. ونجد أرنست بلوخ يرى أن المشروع الاساس في مذهب بيكون الجديد، يكمن في عدم وجود حقيقة في ذاتها، ومعرفة في ذاتها أيضاً [٥٠]. موافقاً في ذلك لمبدأ الشكاك الأساس.

لكن الذي لابد من أخذه بالحسبان أن شك بيكون لم يكن شكاً عاماً بحيث لايقيم وزناً للحس والعقل، أو ينكر حصول العلم واليقين كما هو الحال عند بيرون، ولم يكن من نمط صاحب مذهب الإحتمال الذي يعتقد بحصول الإحتمال فقط دون اليقين كما هو حال الاكاديميين. ولذلك إنبرى بيكون لإنتقاد أتباع بيرون والتنديد بالأكاديمين لانهم أفرطوا في الشك[٥١]، ولم يروا إمكانية حصول اليقين في جميع الأحوال، فادخلوا اليأس الى قلوب الناس من العثور على الحقيقة وجروهم الى المجادلات والصراعات اللفظية[٥٢]. ورغم ذلك فقد فضل الأكاديميون على أتباع بيرون لانهم لم يبلغوا مبلغهم المتطرف في الشك[٥٣]. ومن ثم فبيكون من أنصار الشك المنهجي لا الشك المطلق ــ البيروني منه والأكاديمي ــ كما هو المصطلح. فهو أراد إيجاد منهج علمي جديد لايتأتى الإ بنقد أراء القدماء والشك فيها .

ويؤكد بيكون على (أنه لايريد أن يثير الشك أو يثير علامة إستفهام على كفاءة الحواس وإستعداد الذهن وقابليته على إدراك الحقيقة وفهمها، إذ لا يمكن إنتزاع الحجية من الحواس والذهن رغم ما لديهما من ضعف، بل ينبغي إعداد الوسائل المساعدة اللازمة لها)[٥٤]. ونجده يقول أيضا: (تبدو في الوهلة الأولى فكرة المنكرين للعلم اليقيني منسجمة مع إسلوبي، إلا أنها لا تنفصل عني في نهاية الأمر وتقف في مواجهتي، لانهم يقولون عن حزم بتعذر حصول العلم. وأنا أقول بحزم أن من غير الممكن حصول العلم بطبيعة أمر ما وفق الأسلوب المتداول. فهؤلاء ينتزعون الحجية من الحواس والذهن، في حين أعتقد باعداد الوسائل من أجل الإدراك الصحيح)[٥٥].

وما ينبغي ملاحظته أن بيكون ليس بشاك علمي بصورة واضحة لأنه يعتقد في الإمكان اللامحدود لتقدم المعرفة. وإنه ليس بشاك ديني لأنه يعتقد إمكان البرهنة على وجود الله من الناحية الفلسفية، وأن أركان الدين الموحى به تقوم على الإيمان بسلطة الكتاب المقدس والكنيسة[٥٦]. وإن شك بيكون لم يكن كشك خلفه ديكارت الذي كان إسلوبه الشك وعدم الوثوق بالإدراكات الحسية حتى أنه عد الوضوح والتمايز الذهني معيار الحقيقة، وقال بأن وجود الله هو الضامن لعلم الانسان والباعث على الوثوق به[٥٧]. حيث لم يجز بيكون الإنتقال من الطبيعة الى معرفة الله، لإختلاف جوهر كل منهم، وعدم صحة قياس المشاهد على الغائب غير المشاهد .

ويرفض بيكون بلغة قاطعة القول بأن مقولات ومبادئ الدين تخضع لإختبار العقل، ولذلك يجب عند بيكون الفصل بشكل كامل بين الدين والمعرفة الطبيعية[٥٨]. ولعل ما يعرضه بيكون في ذلك يعود إلى تأثره بالشك الإيماني عند مونتاني أو عند غيره.

فضلاً عن ذلك نجد عند بيكون حرصاً على إستبعاد شتى مظاهر الإسقاط النفسي، وكأنه كان يعلم بأن البشرية لن تصل الى الروح العلمية الإ يوم تكون قادرة على إستبعاد شتى مظاهر الإسقاط السيكولوجي التلقائي اللاشعوري من دائرة المعرفة[٥٩].

ومما جدير بالملاحظة أن الشكية القديمة تقوم في معظم الأحيان على الأخطاء المنطقية بينما تقوم شكية ديكارت على أخطاء الحواس. ويبدو أن بيكون لم يتكهن بهذا الإختلاف، ولذا نجده في كتابه (كرامة العلوم) ينتقد الأكاديميين ويرى أن خطأهم الفاحش يكمن في أنهم إستهانوا بالادراكات الحسية فاجتثوا جذور العلوم وأبطلوها. وبين أن على الشكيين الالتفات نحو نقص الذهن والصور الخاطئة للبراهين أكثر من إهتمامهم بخطأ الحواس، وفي ضوء ذلك فان بيكون كان شديد الإعتقاد بأنه لو توفرت للحواس الظروف المطلوبة لأصبحت منشأ جميع العلوم[٦٠].

ويرى د. محسن جهانكيري أن شك بيكون شك العالم الطبيعي لا شك الفيلسوف النظري مبيناً ذلك بأن الشك لم يكن عنده بمثابة مسألة فلسفية، ولم يجز التردد والتوقف في حصول العلم بشكل مطلق، وإنما كان يشك في أقوال وأراء القدماء لا سيما أرسطو وأتباعه لأنهم لم يكن لديهم إسلوب صحيح، وصاغوا أحكاماً كلية بدون التجربة الدقيقة للجزئيات[٦١].

ومن هذا يرى جهانكيري أن بيكون لم يكن شاكاً، ولم يكن إسلوبه الشك، ذلك أنه كان يؤمن بالحس والتجربة ويدعو الآخرين الى هذا الأمر المهم حتى أنه مات في طريق التجربة، من دون أن يلغي ذلك أن الشك عنده من شروط البحث، مؤكداً على كل باحث في الطبيعة أن يشك في كل ما ينتزعه ذهنه ويصر عليه عن رغبة خاصة(٦٢). ويفهم مما تقدم أن بيكون كان من مؤيدي الشك العلمي المنهجي لا الشك المطلق الذي يمثله بيرون وأتباعه ومنهم مونتاني، لكن ذلك لا يلغي تقديره للإتجاه الشكي عامة، وأن تاثره بفكرة الشك يظهر أنها تعود الى إطلاعه الى مقالات مونتاني الشكية.

المبحث الثالث

ديكارت: رينيه ديكارت فيلسوف فرنسي مشهور يعد عند أغلب الباحثين مؤسساً للفلسفة الحديثة، ولد في لاهي في فرنسا ١٥٩٦، وتوفي في إستكهولم في السويد ١٦٥٠(٦٣). وكان العصر الذي عاش فيه عصراً إختلف فيه العلماء والفلاسفة ورجال الدين إختلافاً كبيراً حتى في المسائل الكبرى، وظهر عجزهم عن حل المشاكل ببحوثهم حلاً تطمئن العقول اليه(٦٤). ولذا حاول بعض المفكرين التخلص من إشكالية عدم إمكانية الخروج من دائرة الارتيابية أو الوحي، فتخلص جاليليو وكوبرنيكوس عن طريق الاتجاه الطبيعي لتفكيرهما العلمي، وتيليزيو وبيكون عن طريق إرهاصهما بمناهج البحث العلمي الحديث، وجوردانو برونو ونيقولا دي كوسا عن طريق حماستهما الفلسفية. وعلى كل حال فان الروح العلمية كانت تسيطر عليهم دون أن يظهر ذلك بوضوح، وهو الأمر الذي حاول ديكارت أن يبينه باقامته لاسس فلسفة مستقلة(٦٥).

وإذا كان الفيلسوف آلى على نفسه أن يطلب الحق الذي لانزاع فيه، وأن يلتمس اليقين الذي يستطيع أن يقيم عليه بناء العلم، فقد صمم ديكارت على رفض جميع المذاهب القائمة، وأن يتناسى الماضي، وأن يشك في كل ما تعلمه من قبل، وأن يمضي في هذا الشك الى أبعد حدوده معولاً على أن يبدأ النظر من جديد لعله يجد إصولاً أخرى يقينية تصلح أساساً لكل معرفة ممكنة(٦٦).

ولأجل ما تقدم عد ديكارت أول الفلاسفة الفرنسيين، فضلا عن كونه أول الفلاسفة المحدثين؛ ذلك أنه لم يحاول أحد قبله حل الإشكاليات الفلسفية بطريقة منظومية منهجية، وكتب النتائج التي توصل إليها بالفرنسية. أما الإرتيابية الأدبية عند فرانسوا رابليه وميشيل مونتاني فإن الفكر الذي عبرت عنه كان جزئياً(٦٧)، بحيث لم يكن ذلك الفكر منهجياً متكاملاً يمكن من خلاله تلمس منهجية واضحة شاملة. وتم عد ديكارت معاصراُ لمونتاني بحسبان المدة التاريخية المتقاربة لكل منهما لا بمعنى لقاء أحدهما الآخر، والحال أن مونتاني توفي قبل ولادة ديكارت بقليل .

ومسألة تاثر ديكارت بمونتاني فأمر تثبته عدد من المصادر أبرزها كتاب ليون برونشفيك (ديكارت وباسكال قارئين لمونتاني)(٦٨). ويشير الى هذا التاثر أيضا عبد الرحمن بدوي في موسوعة الفلسفة عند ترجمته لمونتاني وبيانه التأثير البالغ لمونتاني على عدد من المفكرين ومنهم ديكارت(٦٩). ويشير الى هذا التأثر أيضا يوسف كرم بقوله: (عند ديكارت نجد مونتني من جهة، والعلم من جهة اخرى)(٧٠). ولعل أقوى إشارة الى تأثر ديكارت ما نجده في مدخل كتاب ديكارت (مقال في المنهج) لمحمود محمد الحضيري(٧١) عند بيانه لمذهب الشك واللاأدريين النافين لكل معرفة يقينية، وأن مذهبهم كان شائعاً في عصر ديكارت، وأنه

إطلع على مقالاتهم وعني بها أشد العناية، وأنه قرأ مونتاني وتأثر به الى حد بعيد. ثم يذكر الحضيري ما أورده الاستاذ جلسون في تعليقته على المقال في المنهج من وجوه الشبه الكثيرة بين عبارات ديكارت وعبارات مونتاني. ثم ينقل ما ذكره برونشفيك في كتابه (الطبيعة وما بعد الطبيعة عند ديكارت) من أن ديكارت يقتبس عبارات مونتاني دون أن يشعر بحاجة الى ذكر مصدرها كما كان يفعل عند إقتباس عبارات التوراة والانجيل. مشبهاً الحضيري ذلك بأقتباس أيات القران عند المسلمين. وهو كلام شديد القوة في بيان ما لقيمة كتابات مونتاني عند ديكارت. كذلك نجد إشارة إلى هذا التأثير في تصوير مالبرانش عند حديثه في فصل خاص عن مونتاني في كتابه (البحث عن الحقيقة) حيث يقول: (لقد ساد مذهب الشك حتى أصبحت مقالات مونتاني بمثابة كتاب الفروض في الصلوات الكنسية لدى النابهين من فضلاء القوم، وأصبح من أجمل السمات أن يزدهي الانسان بالكفر، وأن يضفي على عقله ثوباً من القوة التي تزعم لنفسه أنه يستمدها من شكه)[٧٢]. وهي عبارة لا تقل قوة عن النص المتقدم في بيان التأثير البالغ لمونتاني على مفكري عصره ومنهم ديكارت. ثم يبين مالبرانش رأيه في الشك معبراً عن التيار السائد في عصره بقوله: (إن المرء لايعد رجلاً بارعاً ذا نخوة ما لم يشك في كل شئ)[٧٣].

وإذا أردنا أن نبحث عن مبادئ أولى في فلسفة ديكارت فهي الشك. فالشك في كل ما يحتمل الشك فيه ولم يتمتع بمزية اليقين المطلقة تعد خطوة التأمل الفلسفي الاولى والاساسية. والتي يمكن الوصول بعدها الى المبادئ الفلسفية الاولى ومن ثم اليقين الفلسفي. والشك بحد ذاته تأمل قائم في الزمن، فله بالضرورة مراحل تنتظم من الابسط الى الاصعب، تؤدي في نهايتها الى نتيجة قد تكون سلبية نقف عندها، وقد تكون إيجابية تفتح أمامنا الطريق الى اليقين الفلسفي الكامل[٧٤]. ويرى سانت بوف وغابريل إلى أن ديكارت وباسكال تأثرا بمونتاني في الموقف الدوغمائي اليقيني، وضرورة الوصول إليه. حيث عد سانت بوف وغابريل: مونتاني دوغمائياً قطعياً . ولذلك حرص ديكارت على الوصول إلى اليقين إذا كان مونتاني أخفق في الوصول إليه[٣].

والشك خطوة ضرورية لابد من إتخاذها كما يبين ديكارت، فالتعرض للخطأ من الصغر وإحتمال تجدده بفعل تلك الاحكام التي خضع لها ولم يتبين صحتها يعطي للانسان خبرة، وسواء أكانت تلك الاحكام فرضها الغير عليَ من معلمين أم مرشدين أم من وكل عليهم أمري، أم أحكاماً فرضها عليَ الحس والخيال فان التعرض للخطأ أمر واضح. ولذا أمر الشك لامفر منه[٧٦]. ولذلك فإننا نجد محرري الموسوعة الفلسفية المختصرة يرون أن العنصر الأكثر ثورية في فلسفة ديكارت، جعله السؤال المعرفي (ما أعرف) محوراً للفلسفة[٧٧].

وعلى ذلك يلزم إتباع الشك في جميع مصادر تلك الأحكام: فما بقي في النفس من علم تلقيته في الماضي من الحواس والخيال يجب الشك فيه، إذ لو خدعتني هذه الأشياء مرات، ما الذي يمنعها من خداعي دائماً. وخطة الشك هذه يؤيد سلامتها ما يطرأ لنا في النوم من أحلام. فقد تتمثل لنا فيها أشياء لاتقل قوة وحيوية عن موضوعات اليقظة، الى حد يكون من المتعذر إيجاد تمييز قاطع بين أحوال النوم واليقظة. ومن ثم ما يدرينا أن لايكون هذا العالم المحسوس الذي نعيش فيه أثراً من أثار الخيال الخداع، وأحلام النوم؟ ولايهتم ديكارت بما يقال من أوجه الحياة العملية تؤيد أحداث اليقظة وتنكر أحلام النوم. إذ لايكفي في ميدان اليقين النظري الفلسفي الالتجاء الى معايير الحياة العملية[٧٨]. بل لابد من إثبات العالم المحسوس نظرياً وبشكل يقيني، وإن كان ما ذكره ديكارت متطرفاً في وصول الشك لهذه الدرجة لأول وهلة فضلاً عما سيذكره

عن الشيطان الماكر، لكن يبدو أن للبيئة التي نشأ فيها طغياناً لنزعة الشك مع رغبته في تحديد أساس يقيني يأخذ بالحسبان كل الإحتمالات حتى وأن كان إحتمال وجودها محدوداً جداً على ما ذكره .

ويضيف ديكارت بأنه قد يكون هناك شيطان ماكر خادع قوي يحلو له اللعب بنا، وإستخدام مواهبه في تضليلنا، فلا نملك الحكم على كل ما يعرض لنا ونتوقف عن الحكم مطلقاً. لكن ديكارت عند وصوله الى هذا الحد من الشك، لاحظ أن هذا الشيطان الماكر لايستطيع أن يضله ويشككه في كونه كائناً شاكاً أو موجوداً يشك؛ ذلك أنه كلما أمعن في الشك إزداد اليقين بانه موجود يشك ويفكر، لان الشك حالة من حالات التفكير. ومن هنا وصل ديكارت الى حقيقة أولية مفادها أن لامجال للشك على الاطلاق في حقيقة وجوده كانسان يشك ويفكر. ولذا قال بانه (كلما شككت إزددت تفكيراً، فازددت يقيناً بوجودي) معارضاً قول سانشيز Sanchez (كلما فكرت إزددت شكاً)[٧٩].

وقد بين ديكارت ما توصل إليه بمقولته المشهورة: (أنا أفكر إذن أنا موجود) والتي عرفت بالكوجيتو الديكارتي، والذي يعد المبدأ الاول للفلسفة الديكارتية. وديكارت بهذا المبدأ أحدث تغييراً بارزاً في تفكير الفلاسفة القدامى حيال فكرة الوجود ــ لاسيما أرسطو وأتباعه ــ، فقبل ديكارت كان للوجود المادي الأسبقية أو الصدارة على الوجود الفكري أو الذهني، فاصبح بعده للوجود الذهني أو الفكري الصدارة على الوجود المادي[٨٠]. ولذلك يعد ديكارت من أتباع الفلسفة المثالية والتي يعد أفلاطون رائدها الأول في التاريخ الفلسفي.

لقد عاب البعض على ديكارت في حياته تماديه في الشك الى حد الشك في وجود الله وإفتراض وجود شيطان ماكر خداع[٨١]، وقالوا: إن هذا الافتراض الأخير يقضي على ديكارت بعدم الخروج من شكه مطلقاً، ومن ثم وجهوا الى ديكارت أسئلة كثيرة طلباً لبيان موقفه الشكي. وكان جواب ديكارت بوجوب التفريق بين الشك الذي يتعلق بالعقل وبين الشك المتعلق بالارادة. حيث كان ديكارت حريصاً على أن لا يصل شكه الى شئ فيما يتصل بالدين أو ما له إتصال على العموم بالاخلاق والعادات. فالعقائد الدينية بطبيعتها بعيدة عن متناول العقول. أما العقائد العملية فلا بد منها لهداية سلوكنا في الحياة، فيجب أن تكون في مأمن من الشك[٨٢]. ويلاحظ في هذا الموقف من ديكارت تقارباً مع موقف مونتاني. وينقل أن إحجام ديكارت عن نشر كتابه عن العالم ودوران الأرض الى تأثره بمونتاني في الابتعاد عما من شأنه بث الفتنة والفوضى[٨٣]. فديكارت لم يكن راغباً في تأليب الكنيسة عليه فضلا عن المجتمع عامة في تناول أي أمر لا يحظى بقبولهم.

لكن يوسف كرم يرى أن إستثناء العقائد والأخلاق والتقاليد لا يعني أن الفيلسوف موقن بها اليقين المنشود دينياً، فالعقائد لها أسرار تفوق العقل، والأخلاق والتقاليد من الضروري إلتزامها قبل الشك وأثناءه، لان أفعال الحياة لا تحتمل التأجيل غالباً، كما يقول ديكارت نفسه، إذ ليس من الفطنة التردد في العمل بينما يضطرنا العقل الى التردد في الأحكام[٨٤].

وعلى كل حال فان شك ديكارت كما عبر بنفسه شك منهجي، بمعنى أنه شك الذهن والعقل وليس شك القلب والعقيدة، وأنه محاولة عقلية للوصول الى اليقين العقلي، وقوة فكرية دافعة الى الفكر، وليس ميلاً الى الاندفاع نحو الكفر أو التحلل من الدين، ولذلك كان ديكارت حريصاً على تمييز شكه عن أتباع الشك البيروني الذين يتحاشى الحكم مرددين قول مونتاني: ماذا عساي أن أعرف. فهؤلاء الشكاكون عند ديكارت لايشكون إلا

لإجل الشك، ويدعون الى شك شامل. أما شك ديكارت فشك عابر مؤقت. وليست غاية ديكارت من الشك سوى عده وسيلة للوصول الى اليقين(٨٥). ومن هنا نجد الفارق بين شك ديكارت من جهة، وشك بيرون ومونتاني من جهة أخرى، ويلاحظ شهرة تقسيم الشك الى منهجي أو مطلق في المؤلفات اللاحقة على ديكارت متأثرين بتقسيم ديكارت .

ونجد ديكارت يعيب على الشكاكين ممارسة الشك من أجل الشك فحسب، وجعله وسيلة وغاية في الوقت نفسه، بينما الحكمة عند ديكارت تقتضي الفصل بينهما. فإذا كان الشك مشروعاً، وكان أول خطوة يقوم بها الفيلسوف الأصيل والمجدد والعميق، فإن جعله غاية التفكير الفلسفي يعد موضع الخطأ في تفكيرهم، فالسير على وفق هذه الغاية يجعل العقل في حالة تردد مستمر، بينما الهدف الحقيقي لكل فيلسوف الوقوف على إسس متينة لا على رمال الريبية المتحركة(٨٦). لكن يلاحظ أن الفيلسوف والإنسان عامة هدفه الحقيقة المطلقة، لكن عدم الوصول الى تلك الحقيقة بعد البحث والتقصي عند مونتاني والشكاك عامة لا يعني عدم رغبتهم في الوصول إليها، بل هم لم يصلوا لها بحسب فهمهم وتصورهم من كون الحقيقة لا قرار لها ولا إستقرار، وأنها تختلف بإختلاف الأشخاص والظروف، فالنتيجة أن الحقيقة لا إطمئنان بها، وأيضاً أن الأمر ليس مثالياً، بغض النظر عن البحث العلمي الموضوعي. ليوهم الفيلسوف نفسه أنه يقف على إسس متينة متفق عليها ــ ولذلك نجد الأختلاف بين المفكرين عبر التاريخ في شتى مجالات المعرفة.

وعلى كل حال فالذين عابوا على ديكارت أن شكه يؤدي الى القول باللاأدرية فهم ــ كما يرى عثمان أمين ــ قوم من الحسيين كانوا يرون المظاهر الحسية حقائق أولى ومصادر وثيقة يرجعون إليها لمعرفة سائر الأشياء. فديكارت عندهم قلب وجه النظر الى الامور: فهو شك في المحسوسات التي يرونها حقيقة واقعة. من أجل ذلك بدا لهم ديكارت منكراً البداهة، لانه لم يبدأ بحثه من معرفة المحسوسات الى معرفة المعقولات كما كانوا يعملون؛ بل بالعكس سار من معرفة المعقولات الى معرفة المحسوسات(٨٧).

ويرى جيمس كولينز أنه ما من فيلسوف منذ أوغسطين إنغمس تماماً في كتابات الشكاك، وأدرك بعمق نقدهم المتطرف للعقائد المتعارف عليها كما فعل ديكارت. ذلك أنه شعر بعبث اللجوء الى السلطة الفلسفية أو العلمية أو الدينية في المسائل الفلسفية أو تقديم مجرد حجج ديالكتيكية إحتمالية، ولجأ مذهب الشك الى هذه السلطات جميعاً. وأن ديكارت جذب أنصاراً من الذين قنطوا من العثور على أدلة برهانية على وجود الله والخلود. لان ديكارت في نظرهم قدم أدلة وبراهين لايتطرق إليها الشك(٨٨). وكل هذا يثبت أثر البيئة والظروف التي عاش فيها ديكارت فيما عرضه من تصورات وأفكار.

إن ديكارت تحدى المبدائين الرئيسين في مذهب الشك: المبدأ النفسي في رغبة الانسان الملحة الى راحة البال؛ والمبدأ المنطقي في توازن القوى. فالدراسة الفاحصة للدوافع الانسانية تبين أن الرغبة في الحكمة لاتقل من حيث أنها رغبة أساسية عن التطلع الى راحة البال. وعلى المستوى المنطقي إجتهد ديكارت في التفرقة بين منهجه في إرجاء التسليم وبين منهج الشكاك، فهولاء يهدفون الى إقامة نوع من الاتزان المحايد بين القضايا المتناقضة، ومثلهم الأعلى في المسائل النظرية موقف عدم الالتزام، أي عدم الحكم بشئ وتعليق الحكم. أما ديكارت فيتخذ من توازن القوى وسيلة مبدائية لتحرير العقل من الحواس، وتحذيره من الوقوف

عند مجرد الاحتمالات. فهمه الرئيس إنصب على إختبار القضايا، آملاً بالعثور على قضية تصمد للشك، وترغم العقل على التسليم بها(٨٩).

فالشك الديكارتي تشيع فيه روح التأهب للتسليم بالبينة التي لاسبيل الى الشك فيها إذا وجدت، وروح الاستعداد لقبول حقيقة أي شئ يصمد أمام أعنف إختبارات الشكاكين، فالشكاكون مذنبون لتعصبهم السلبي في رفض التسليم حتى أمام البينة اليقينية التي تجتاز الاختبار وتثبت صحتها، وقد كشف ديكارت عن هذه القطعية المستورة في تصميم الشكاكين على عدم قبول الحقائق النظرية عن الواقع، وهكذا فانه نقض دعواهم في المحافظة على تعليق الحكم(٩٠).

ومما تقدم نجد أن ديكارت إن إتفق مع الشكاكين ــ بيرون ومونتاني وغيرهماــ في أهمية إتخاذ الشك كمنهج معرفي كمقدمة للبحث الإنساني إلا أنه إختلف معهما في النتائج النهائية من حيث إقتناعه بيقين جازم لا يتطرق إليه الشك دونهم، بل إنه رد عليهم ورفض أقوالهم وميز شكه عن شكهم. وكل هذا لايلغي تأثره بهم بدرجة ما خاصة مونتاني .

النتائج :

١- إن تأثر كل من شارون وبيكون وديكارت بمونتاني يتضح في تقديرهم له وذكرهم له بالتقدير والإحترام فضلا عن إعترافهم بدوره عليهم في بيان أهمية الشك، ومركزيته في البحث الفكري.

٢- إن الهدف الاساسي لأخذ شارون بمقولة الشك هو دعم الإيمان المسيحي في مواجهة ظاهرة الإلحاد والتقليل من قيمة الدين السائدة في عصره، وهذا أمر يصرح به، ولا يختلف في ذلك الهدف عن مونتاني، أما ديكارت فإن هذا الهدف لا يصرح بوضوح بمثل هذا الهدف عل الرغم من كونه يظهر عند التعمق في كل ما ذكره عن الشك وأدلته لإثبات وجود الله وصداقته لرجال الكنيسة في عصره. بينما يظهر أن هدف بيكون من إتخاذ الشك مبدأ أساساً علمي لا علاقة له بسلطة الكنيسة.

٣- إن إستعراض حياة شارون يؤيد كونه كاهنا مسيحيا فضلاً عن كونه كاتباً أخلاقياً أما كونه فيلسوفاً فلا ينسجم مع التصور الشائع عن الفيلسوف من منهجية وتعدد المسائل وتنوعها.

٤- إن بيكون تأثر بمونتاني ليس في أهمية مبدأ الشك فقط بل في تقليده لإسلوب مونتاني الكتابي المعروف (المقالات) بما يعكس قيمة مضافة الى تأثره به وتقديره له.

٥- إن ديكارت تأثر بالبيئة التي نشأ فيها في عرضه الخاص لمفهوم الشك وهو يتضح من وقوفه مع أحكام الكنيسة وتصوراتها الأساسية والرغبة في الوصول لليقين للرد على الشكاكين الذين إزداد عددهم وتأثيرهم في وقته، كما أن مفهومه المختلف للشك عن مونتاني وشارون يبدو أنه يرجع الى المستجدات والإعتراضات التي وجهت الى موقف الشك الذي إشتهر عن طريق مونتاني، والذي رأى فيه ديكارت قصوراً حاول تلافيه بما بينه من تفاصيل جديدة عن الشك للوصول الى اليقين.

٦- ان ديكارت تاثر بمونتاني بفكرة الشك لاسيما فيما يتعلق بأهمية مراعاة الأوضاع السائدة وعدم إثارة الفتنة والاضطراب لعدم الجزم والقطع بفكرة مخالفة لهذه الأوضاع من دون أن يلغي هذا وجود إختلاف في مفهوم كل منهما للشك والنتائج المترتبة عليه .

٧- إتضح من البحث أن شارون أقرب لمونتاني في أرائه الشكية وأن الاختلاف بينهم في أمور محدودة، بينما بيكون وديكارت تأثرا وتابعا مونتاني في أهمية مبدأ الشك في بداية البحث الفكري، لكن إختلفا معه في النتائج وإمكانية الوصول الى اليقين، ولذلك عد كل منهما من أتباع مذهب الشك المنهجي، بينما مونتاني وشارون من أتباع مذهب الشك المطلق.

الهوامش:

(1) لمزيد من التفصيل عن حياة مونتاني ينظر: كريسون: مونتاني، ترجمة: نهاد رضا، منشورات عويدات، باريس ــ بيروت، ط ٣، ١٩٨٢م، ص٥ وما بعدها. وتوصيفه بأنه كاهن فيه دلالة على كونه ذا توجــه ديني بخلاف الوصفين الآخرين.

(٢) ينظر: طرابيشي: معجم الفلاسفة، ص٣٨٦. وأيضا: رونتال ويودين: الموسوعة الفلسفية، ص ٢٥٧.
and see : Routledge: Chrron

(٣) ينظر: كولينز، الله في الفلسفة الحديثة، ص٦٣ - ٦٤. وأيضا : Routledge , Charron

(4)See : Routledge , Charron . and : Vinet : Montaigne , p 58 .

(5)See : Routledge , Charron .

(٦) ينظر: طرابيشي: معجم الفلاسفة، ص٦٥١. وأيضا: يودين و روزنتال: الموسوعة الفلــسفية، ص٢٥٧. كذلك: كولينز: الله في الفلسفة الحديثة، ص٦٣.

(7) See: Deschamps, Arsene: La Genese du Scepticisme Erudit Chez Bayle , Imprimerii. Vaillant. 1878. p , 61 .

(8) Ibid, p, 62 .

(٩) ينظر: كولينز: الله في الفلسفة الحديثة، ص٦٤.

(10)See: Charron: De La Sagesse, Leipzig, Druck von Ferdinand Bar,1890 .p ,16

(11) See: Ibid, p, 12 .

(12)See: Ibid, p , 25 .

(١٣) ينظر: المصدر نفسه، ص٦٤. وأيضا: Routledge , Charron

(14)See : Deschamps : La Genese Du Scepticisme , p , 62 .

(15)See: Routledge , Charron .

(16)Charron: De La Sagesse, p, 31 .

(17)Ibid, 32 .

(18)See: L, Zanta, La Renaissance du stoicismi au xvi siecle, Paris, 1914, p 293

(١٩) ينظر: برهييه: تاريخ الفلسفة، ج ٣، ص ٣٠٠ .

(٢٠) ينظر: المصدر نفسه، ج ٣، ص ٣٠٠. ويرى برهييه أن الشرط الذي يطرحه شارون هنا مقتبس مــن الرواقي ابكتاتوس. ولاغرابة في ذلك فشارون يعد من الكتاب الأخلاقيين المتأثرين بالنزعة الرواقية.

(21) See: Charron : De La Sagesse, p , 4 .

(٢٢) ينظر: برهييه: المصدر نفسه، ج ٣، ص٣٠٠ .

(٢٣) ينظر: كولينز: الله في الفلسفة الحديثة، ص٦٥ .

(24)See: Charron: De La Sagesse, p , 4 .

٢٥) عاش سكستوس في القرن الثاني الميلادي أو القرن الثالث على أختلاف الباحثين في ذلك. وكان العصر الذي نشأ فيه تميز باعتناق طائفة من الاطباء مذهب الشك، وأصبحوا كذلك من ممثلي المذهب بحيث أخذوا بتراث من سبقهم من الشكاك وزادوا عليه موقفا أوحى إليهم به حرفتهم الاولى أي مهنة الطب. وتتمثل هذا الموقف بتنظيم التجربة بالتجربة نفسها دون الالتجاء إلى العقل أو الحكم على حقائق الاشياء بذاتها لانها أمور لادخل للتجربة فيها، وترتب على هذا الموقف أن أقاموا الفن بديلا عن العلم. وعرفوا لاجل ذلك بالتجريبين. وكان سكستوس أشهر هؤلاء، ولذا عرف بأمبيريكوس أي التجريبي. ينظر:بدوي، خريف، ص ٧٠ و كرم: تاريخ الفلسفة اليونانية، ص ٢٤٠. وفي بدوي، خريف، ص٧٠. أنه عاش في القرن الثاني. أما في كرم، تاريخ، ص٢٤٠. أنه عاش في القرن الثالث الميلادي. وفي الموسوعة الفلسفية، ص٢٤٦، أنه عاش نحو (٢٠٠– ٢٥٠ م).

(٢٦) ينظر: كولينز: الله في الفلسفة الحديثة، ص٦٥–٦٦.

(27)See: Charron: De La Sagesse , 32 .

(٢٨) ينظر: المصدر نفسه، ص٦٦ .

(٢٩) يوستوس ليبسيوس: فيلولوجي فلمنكي، ولد قرب بروكسل في عام ١٥٤٧ م، وتوفي في لوفان ببلجيكا عام ١٦٠٦. واحد من أواخر كبار الآنسيين، وعلى الرغم من كونه أديباً أكثر منه فيلسوفاً فقد مارس ببعض كتاباته تأثيراً كبيراً على فكر معاصريه خاصة كتابه (المدخل إلى الفلسفة الرواقية) الذي سلط فيه الأضواء من جديد على القضايا الرئيسة للأخلاق الرواقية. ينظر: طرابيشي: معجم الفلاسفة، ص ٦٠٦. وأيضا: موسوعة أعلام الفلسفة، ج ٢، ص ٣٩٧.

(٣٠) جيوم دي فير (١٥٥٦– ١٦٢١)، سليل أسرة من القضاة، لم تكن رواقيته، رواقية إنسان مستسلم يستمد من مطالعاته القوة فقط على الخضوع للمحتوم الذي لا مهرب منه، فقد كان متوجهاً بكليته نحو العمل، وتلك هي الرواقية الحقيقية ــ رواقية أبكتاتوس ــ . يتفجر كل سطر في رسالته (في المثابرة والعزاء في المصائب العامة) بالرغبة في خدمة فرنسا وشفائها من أدوائها، أي من بذخ النبلاء ومتاجرة الكنيسة بالرتب الكهنوتية وفساد العدالة. ينظر: برهييه: تاريخ الفلسفة، ج ٣، ص ٢٩٨.

(٣١) ينظر: كولينز: الله في الفلسفة الحديثة، ص٦٦– ٦٧. وأيضا: Routledge , Charron.

(٣٢) ينظر: كولينز: الله في الفلسفة الحديثة، ص٦٧.

(٣٣) ينظر: المصدر نفسه، ص٦٧. وتعليق مونتاني في Essays, Vol. 2 , p 146.

(٣٤) ينظر: كولينز، نفسه، ص٦٧ – ٦٨ .

(٣٥) ينظر: رونتال و يودين: الموسوعة الفلسفية، ص٩٩ – ١٠٠ .

(٣٦) ج٢، ص٤٨٨ .

(٣٧) فرنسيس بيكون، ص ١٥٠.

(٣٨) ص ٩٦.

(39)See: Routladge, Montaigne. Schel: Montaigne , p 252 .

(٤٠) (جهانكيري) د. محسن: فرنسيس بيكون، ص١٥١.

(٤١) برهييه: تاريخ الفلسفة، ج٤، ص٢٥.

(٤٢) حكمة الغرب، ج٢، ص٥٩. وأيضا: Hazlitt : Work of Michael de Montaigne , preface .

(٤٣) ينظر: جهانكيري: المصدر نفسه، ص ١٥١ – ١٥٢.

(٤٤) (هادي) د. قيس: نظرية العلم عند فرانسيس بيكون، دار الشؤون الثقافية العامـــة، بغـــداد، ط١٩٨٦،٢، ص١٢٥.

(٤٥) ينظر: المصدر نفسه، ص ١٢٥– ١٢٦.

(٤٦) ينظر: نفسه، ص ١٢٦ .

(٤٧) المصدر نفسه .

(٤٨) مارين ميرسون Marin Merson ١٥٨٨ – ١٦٤٨.رياضي ومتكلم فرنسي، وصديق حميم لديكارت . ينظر: See : Encyclopaedia , vol .15 , p 109.

(٤٩) ينظر: جهانكيري، ص١٥٢ .

(٥٠) ينظر: فلسفة عصر النهضة، ص٩٩ .

(51) See : Bacon : Advancement of Learning and Novum Organum , The World Great . Classics The Colonial Press . New York . London . p , 126 .

(52) See : Bacon : New Organon , pp , 66 , 73 .

(53) See : ibid .

(54)See : ibid .

(55)See : ibid , pp 66 , 115 .

(٥٦) ينظر: رايت: تاريخ الفلسفة الحديثة، ص٧٣ .

(٥٧) ينظر: جهانكيري: فرنسيس بيكون، ص ١٥٣ ــ ١٥٤ .

(٥٨) ينظر: (هادي) د. قيس: نظرية العلم، ص ١٢٩ ــ ١٣٠ .

(٥٩) (إبراهيم) د. زكريا: المعرفة العلمية وطبيعتها ، ص٢٣ .

(٦٠) ينظر: جهانكيري: المصدر نفسه، ص ١٥٤ .

(61)See : Bacon : New Organon , p , xxv .

(62) See : ibid , p , 36 .

(٦٣) ينظر لمزيد من التفصيل عن حياته: كرم: تاريخ الفلسفة الحديثة، ص ٥٨ ــ ٦٢. ويـــذكر د. إبـــراهيم مصطفى أن عد ديكارت أباً للفلسفة الحديثة إلتصق بديكارت إبتداءً من القرن التاسع عشر. ينظر: الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم ، ص٦٩ .

(٦٤) ينظر: د. أمين (عثمان): شخصيات فلسفية، ص٩٣ .

(٦٥) ينظر: جانيه و سياي: مشكلات مابعد الطبيعة، ص٤٢ – ٤٣ .

(٦٦) ينظر: د.أمين: شخصيات، ص٩٣. وأيضا: كرم: تاريخ الفلسفة الحديثة، ص٦٥ – ٦٦ .

(٦٧) ينظر: دليل أكسفورد، ج ٢، ص ٦٤٩ .

(٦٨) يشير الى ذلك جان فال في مقدمة كتابه الفلسفة الفرنسية .

(٦٩) مج ٢، ص ٤٨٨ .

(٧٠) تاريخ الفلسفة الحديثة، ص ٨٨ .

(٧١) ص ١٢١.

(٧٢) د. الحضيري: مقال في المنهج، ص ١٢٣ .

(٧٣) المصدر نفسه.

(٧٤) ينظر: د. بلدي (نجيب): ديكارت، ص٨٧ .

(75)Lanusses: Montaigne, p 147 - 148. and: Compayre : Montaigne, p, 58

(٧٦) ينظر: نفسه .

(٧٧) ينظر: ص ١٤٥. و يقارب ماكول بين وصول ديكارت إلى قيمة الشك المعرفية بعد رحلاته في أنحاء أوروبا، وبين رحلات بيرون إلى أسيا ضمن رحلات الأسكندر العسكرية. ينظر:

Maccoll : The Greek Sceptics , p 20

(٧٨) ينظر: بلدي: ديكارت، ص٨٧ – ٨٨ . كرم : تاريخ الفلسفة الحديثة ، ص٦٦ .

(٧٩) ينظر: د . مهدي فضل الله : فلسفة ديكارت ، ص٩٢ .

(٨٠) ينظر: فضل الله : ديكارت، ص٩٢ – ٩٣ .

(٨١) لمعرفة الاعتراضات عن وجود الشيطان الماكر ينظر: بلدي، ديكارت، ص٩٠ – ٩٢.

(٨٢) ينظر: د. أمين: شخصيات فلسفية، ص١٠٧ – ١٠٨. يلاحظ أن هذا يختلف عما أورده توفيق الطويل من أن شك ديكارت كان من أجل إقامة البناء العقلي على أساس من المنطق والرياضيات، وقصر شكه فقط على تناول العقيدة وحقائق التنزيل، وجعل الإيمان بها من أفعال الإرادة وليس من عمل الذهن. ينظر: قصة النزاع بين الدين والفلسفة، ص١٧٥– ١٧٩ .

(٨٣) ينظر: كريسون : مونتاني ، ص٧٤ .

(٨٤) ينظر: تاريخ الفلسفة الحديثة، ص٦٨ .

(٨٥) ينظر: د . أمين: شخصيات، ص١٠٩ – ١١٠.

(٨٦) ينظر: عنيات: نيتشه والإغريق، ص ٢٣٥.

(٨٧) ينظر: نفسه، ص١١٠ .

(٨٨) ينظر: الله في الفلسفة الحديثة، ص٨٥ – ٨٦.

(٨٩) ينظر: المصدر نفسه، ص٨٦.

(٩٠) ينظر: نفسه، ص٨٦.

المصادر

إبراهيم، د. مصطفى إبراهيم: الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٨م.

إبراهيم، د. زكريا: المعرفة العلمية وطبيعتها، مجلة الفكر المعاصر، القاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والإنباء والنشر، العدد العاشر، ١٩٦٥م.

أحمد، د. قيس هادي: نظرية العلم عند فرانسيس بيكن، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط ٢، ١٩٨٦م.

أمين، د. عثمان: ديكارت، مكتبة النهضة المصرية، ط ٣، ١٩٥٣م. شخصيات ومذاهب فلسفية، دار إحياء الكتب العربية، ١٣٦٤هـ – ١٩٤٥م.

ألفا، روني إيلي: موسوعة أعلام الفلسفة العرب والأجانب، مراجعة: د. جورج نخل، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط١ ، ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢م.

برهييه، إميل: تاريخ الفلسفة، ترجمة: د. جورج طرابيشي، ج ٣، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٩٨٣م.

بدوي، د. عبد الرحمن: خريف الفكر اليوناني، مكتبة النهضة المصرية، ط ٤، ١٩٧٠م.
بلدي، د. نجيب: ديكارت، دار المعارف بمصر، ط٢، ١٩٦٨م.
تد هوندرتش، دليل أكسفورد، ترجمة نجيب الحصادي، المكتب الوطني للبحث والتطوير، ليبيا، ٢٠٠٢م.
جانيه بول وسياي (جبريل): مشكلات ما بعد الطبيعة، ترجمة: د. يحيى هويدي، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦١ م.
جهانكيري، د. محسن: فرنسيس بيكون أراؤه وآثاره، تعريب: عبد الرحمن العلوي، دار الهادي، بيروت، ط١، ١٤٢٦ ه، ٢٠٠٥م.
بلدي، د. نجيب: ديكارت، دار المعارف بمصر، ط ٢، ١٩٦٨م.
رسل، برتراند: حكمة الغرب، ترجمة: د. فؤاد زكريا، ج١، سلسلة عالم المعرفة رقم ٦٢، ج ٢، رقم ٧٢، الكويت، مطابع الرسالة، الكويت، ١٩٨٣م.
رايت، وليم كلي: تاريخ الفلسفة الحديثة، ترجمة محمود سيد أحمد، تقديم ومراجعة: د. إمام عبد الفتاح إمام، دار التنوير، للطباعة والنشر والتوزيع، ط ١، ٢٠٠١م.
روزنتال ويودين: الموسوعة الفلسفية، ترجمة: سمير كرم، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط ٢، ١٩٨٠م .
طرابيشي، د. جورج: معجم الفلاسفة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط ٣، ٢٠٠٦م.
الطويل (د. توفيق) : قصة النزاع
عنيات، د. عبد الكريم: نيتشه والإغريق إشكالية أصل الفلسفة، منشورات الإختلاف، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط ١، ١٤٣١ هـ ـ ٢٠١٠م.
فال، جان: الفلسفة الفرنسية، ترجمة: الأب مارون خوري منشورات عويدات، بيروت ـ باريس، ط ٤، ١٩٨٨ م.
فضل الله، د. مهدي : فلسفة ديكارت ومنهجه، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط ٤، ٢٠٠٦م.
كرم، يوسف: تاريخ الفلسفة الحديثة، دار القلم، بيروت، د. ت.
كرم، يوسف: تاريخ الفلسفة اليونانية، دار القلم، بيروت، د. ت.
كريسون، مونتاني، ترجمة نبيه صقر، منشورات عويدات، بيروت ـ باريس، ط ٣، ١٩٨٢م.
كولينز، جيمس: الله في الفلسفة الحديثة، ترجمة: فؤاد كامل، مكتبة غريب، مصر، ١٩٧٣م.

المصادر الاجنبية :

Bacon, Advancement of Learning and Novum Organum, The World Great. Classics The Colonial Press. New York. London .
Compayre, Gabriel: Montaigne and education of the Judgment, Thomasy Crowell Co. Newyork. Arr. 1908.
Charron, De La Sagesse, Leipzig, Druck von Ferdinand Bar, 1890.
Deschamps, Arsene: La Genese du Scepticisme Erudit Chez Bayle, Imprimerii. Vaillant. 1878.
Hazlitt, Works of Michael de Montaigne, Newand Carefully Revised Edition ,1877.
Maccoll, Norman: The Greek Sceptics Form Pyrrho to Sextus, Macmillan , London, 1868 .

Routledge, Encyclopedia of Philosophy, Version, 1. 0, London and New York: Routledge . 1998. w.w. w. Routldge. Com .
Vinet, Alexander: Montaigne Endlless and other Mis, M. W. Dood , Newyork, 1850.
Lanusses, Maxime: Montaigne, Boivin & Cie, Editeurs, Rue – Palatine, Paris, 1895.
Zanta, L, La Renaissance du stoicismi au xvi siecle, Paris, 1914 .